التناظر في الأساليب النحوية في القرآن الكريم

Symmetry in grammatical methods in the Holy Qur'an

د. حفيظة بن سكران *

تاريخ استقبال المقال: 2022/08/04 تاريخ القبول: 2022/08/11
تاريخ النشر: 2022/08/25

ملخص:

تقوم هذه الدراسة على دراسة التناظر في الأساليب النحوية في القرآن الكريم، حيث وقفت على بيان صوره في أسلوب الاستفهام، والشرط وجوابه، وعلى الاستثناء، والحصر والقصر، وأسلوبي النهي والنفي، وأسلوب الأمر.

وخلصت الدراسة إلى أن صور التناظر في القرآن الكريم فيما تعلق بالأساليب النحوية كثيرة لا يمكن حصرها في مقال واحد، ثم إنها أبرزت وأكدت إعجاز القرآن الكريم مرة أخرى كونه النص الصالح لأي دراسة، فمادته غنية ولغته معجزة.

كلمات مفتاحية: التناظر، القرآن الكريم، أسلوب، نحو، أمر.

Abstract:

This study is based on the study of symmetry in the grammatical methods in the Holy Qur'an, where this study stood on the statement of its images in the interrogative style, the condition and its answer, the exception, the restriction and the short, the two styles of prohibition and negation, and the style of the command.

The study concluded that the images of symmetry in the Holy Qur'an with regard to grammatical methods are many that cannot be limited to a single article, then it highlighted and confirmed the inimitability of the Holy Qur'an once again as it is the valid text for any study, its material is rich and its language is a miracle.

Keywords: Symmetry, Holy Quran, style, grammar, command.

* جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم hafidha.bensekrane@univ-mosta.dz

1. مقدمة:

لقد تميزت العديد من الدراسات والبحوث اللغوية بدراسة اللغة دراسة تعتمد على تتبع ما جاء عند القدماء ورصده حتى صرنا نجد كثيرا منها يتشابه في مضمونه.

ولغتنا العربية تتميز بخاصية لم تتوافر عليها أية لغة من اللغات الأخرى لأنها ارتبطت بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا، وبها التراث العربي الإسلامي الذي كان محوره القرآن الكريم.

ومما تتميز به اللغة العربية أنها غنية بمفرداتها وألفاظها وتراكيبها، متنوعة بمستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وهذه الأخيرة تدفع الباحث نحو الوقوف على المعنى ورصده وبيان مدى أهميته في أي دراسة.

وكان التناظر واحدا من الخاصيات التي تميزت بها اللغة العربية في مواضع عدة من القرآن الكريم، وكانت هذه الدراسة لغرض بيان هذا التناظر في القرآن الكريم، انطلاقا من الأساليب النحوية الواردة فيه، فجاءت بعنوان **التناظر في الأساليب النحوية في القرآن الكريم،** وذلك للإجابة على جملة التساؤلات التالية: ماهي صور التناظر في الأساليب النحوية في القرآن الكريم؟ وما أنواع هذا التناظر؟ وما ماهيته؟ وماهي الأساليب التي وردت في القرآن الكريم وتضمنت تناظرا؟ لذا اعتمدت المنهج التحليلي الوصفي لبيان صور هذا التناظر في الأساليب النحوية انطلاقا من كلام الله عز وجل في محكم تنزيله، وتمكن أهمية هذا الموضوع في أنه واحد من المواضيع التي طالت الكلام المنزه بالدراسة للوقوف على إعجازه وبلاغة تركيبه.

2. تعريف التناظر:

2. 1. لغة: جاء في لسان العرب: «النظر: حس العين، نظره، ينظر منظرة، ونظر إليه.... والنظير المثل، وقيل المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي مثلك لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء»[1].

2. 2. اصطلاحا: أول ما يلاحظ في تعريف التناظر لدى القدامى أنهم لم يثبتوا له تعريفا إنما درسوه دارسة تطبيقية في مصنفاتهم دون تحديد ماهيته لعلهم لم يروا أهمية لتعريفه أو كان الأمر أسهل من أن يعرّف.

وفرّق أبو هلال العسكري بين المثل والنظير فبين أن (المثلين) ما تكافأ في الذات، و(النظير) ما قابل نظيره في جنس أفعاله وهو متمكن منها، كالنحوي نظير النحوي وإن لم يكن له مثل كلامه في النحو أو كتبه فيه، ولا يقال النحوي مثل النحوي لأن التماثل يكون في حقيقة أخص الأوصاف هو الذات[2]، وعلى هذا فإن المثيل والنظير متقاربان دلاليا مع فرق يسير بينهما.

أما عند الغرب فنجد الدراسين المحدثين ساقوا تعريفات عدة لظاهرة التناظر حيث نجد غريماس يقول: «هو جذر دلالي يوحد عوالم النص ويمنحه انسجامه من خلال الحد من فوضى المعاني وامكانية انتشارها في كل الاتجاهات»[3]. فأبرز غريماس خاصية مهمة في ظاهرة التناظر وهي توجيه المعنى والحد من فوضى انتشاره.

ومما يلاحظ فيما سبق ذكره أن التناظر يخرج عن إطار تحديد وظيفته بتحقيق الانسجام بين العبارات والتراكيب وضبطها وتوجيهها وفق غاية دلالية.

---

1. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، (1414هـ)، ص 219/5.
2. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م، ص155.
3. حامد إبراهيم امهيدي، التناظر والدليل في سياق التأويل: الرسم أنموذجا، مجلة نابو للبحوث والدراسات، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، العدد 05، ديسمبر 2010م، ص39.

3. التناظر في الأساليب النحوية في القرآن الكريم:

يعد الأسلوب من أهم الحيثيات العلمية التي تناولها الباحثون في العصر الحاضر من حيث المعنى والسياق، علاوة على دور هذا الأسلوب في خلق نمطية تركيبية من خلال الوحدات الكلامية؛ إذ يمثل جزءاً مهمًا من الدرس الأسلوبي في المنجزات الأدبية الحديثة، خاصة عند النظر إلى هذا المصطلح من خلال علاقته بعناصر التداول اللغوي، التي تتمثل بالمرسل والمتلقي، والرسالة التي يريد المرسل إيصالها إلى هذا المتلقي، فهذه العناصر التواصلية للغة تخلق نوعاً من التماثل في تكوينات الرسالة اللغوية، مما قد يربطها بالأسلوب من ناحية أو أخرى[1]، فمن هنا اختلفت النظرة التفصيلية للأسلوب باعتباره عنصرًا مهمًا في تشكيل مكونات التركيب اللغوي.

3. 1. التناظر في أسلوب الاستفهام:

يشير مفهوم الاستفهام في معناه العام في اللغة إلى عنصر استعلامي استخباري من المتكلم إلى المخاطب، وهذا الاستعلام يكون لأجل غاية إخبارية يريدها المتكلم، وهذا ما يمكن لنا أن نستنتجه من كلام الجرجاني في حديثه عن مفهوم الاستفهام، إذ يقول: «استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق وإلا فهو التصور»[2].

ويرتبط مفهوم الاستفهام بمكونات دلالية واصطلاحية أخرى، مثل مفهوم الاستخبار، الذي يدل في معناه الأساسي على طلب الخبر، وليس من الضرورة بمكان أن

---

1. ينظر: عبد الجواد، إبراهيم عبد الله أحمد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان ــ الأردن، 1996م، ص 40- 46.

2. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، حققه وضبطه: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م، ص 18.

يقصد المتكلم من الاستخبار طلب الفهم، أي أن كل استفهام استخبار، ولكن ليس العكس، فليس كل استخبار استفهام[1].

أما في عرف النحاة واللغويين فإنهم يرون أن الاستفهام بعناصره التي يتركب منها يعد جملة، ومن هنا كان التعبير عن هذا الأسلوب النحوي بجملة الاستفهام، فيسمون هذا التركيب بهذا الاسم "جملة الاستفهام"[2]، وذلك في إشارة منهم إلى التركيب الأسلوبي الاستفهامي المتميز في العربية بكافة مكوناته التركيبية.

وبناء على ما تقدم، فإنه يمكننا القول بأن جملة الاستفهام التي ترتبط بعناصر التركيب الأسلوبي من جهة، وعناصر التركيب النحوي من جهة ثانية، لا بد أن تشتمل على مكونات التناظر، وذلك انطلاقاً من ارتباط هذه المكونات التركيبية ببعضها بعضاً ضمن مكونات الأسلوب الاستفهامي.

وما ورد من تناظر في أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2)**﴾[3].

يمكن ملاحظة ملامح التناظر التركيبي في الآيتين الكريمتين على النحو التالي: ألم تر/ كيف فعل/ ألم يجعل، يظهر في هذه المتوالية الاستفهامية أنها قد بدأت بهمزة الاستفهام التي هي أبرز أدواته، إذ هي حرف مع أختها "هل"، غير أنها متصرفة في بابها أكثر من "هل"، أما سائر أدوات الاستفهام الأخرى فهي أسماء –ظروف وغير ظروف– وهي هاهنا حينما

1. ينظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان، (د–ت)، ص 83.
2. ينظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م، ص 3/ 1053.
3. سورة الفيل، الآية: 1–2.

اتصلت بـــ "لم" أفادت معنى التقرير[1]. اشتملت المتوالية الثلاثية على أكثر من استفهام، فكانت متغايرة بين الهمزة الداخلة على (لم) الجزم والنفي، وبين (كيف) التي جاءت هنا لتفيد الاستفهام التعجب، ولكن يرى بعض النحويين أن (كيف) هاهنا ليست الخالصة للاستفهام، وإنما خرجت عن معنى الاستفهام لتدل على معنى الاسمية الخالصة، فيكون إعرابها هاهنا مفعولاً به، وهذا الإعراب أعربه بعض النحاة، ومنهم من أعربها مفعولاً مطلقاً، والمهم في هذا كله أنها لم تأت هاهنا لتدل على الاستفهام الحقيقي، بل هي داخلة ضمن جملة الاستفهام الأولى[2].

وعليه، خرجت (كيف) عن الاستفهام في المتوالية بين أدوات الاستفهام لتصبح مفعولاً به، لتكون العناصر المتوازية في الآيتين على النحو التالي :ألم // ألم، تر // يجعل.

هذا التكرار من شأنه أنه يقوي التناظر التركيبي ويزيد في أثره بين أجزاء المتوالية؛ لأن الاستفهام يتطلب إجابة من المخاطب، لكن الإجابة حاضرة عند المتكلم، مما يقتضي إقرار المخاطب بالمعلومة التي قُدمت إليه على سبيل الاستفهام، فالآية خطاب من الله سبحانه وتعالى للرسول ﷺ لتذكيره بالحادثة الشهيرة التي وقعت زمن الجاهلية، حينما أراد أبرهة الأشرم أن يهدم الكعبة المشرفة، فأرسل الله سبحانه وتعالى الطير الأبابيل على جيش أبرهة المعتمد على الفيلة، فكانت نهايتهم جميعًا، وماتوا هم وفيلتهم.

فالمتوالية كان الخطاب فيها متضادًا بين ضمير الخطاب في الآية الأولى، وضمير الغيبة في الآية الثانية، إلا أنها تنتمي إلى حقل دلالي واحد، فغلب عليها الترادف في دلالتها، فالوحدات الكلامية: (أصحاب الفيل)، و(كيدهم)، و(تضليل)، تنتمي إلى حقل دلالي واحد؛ فالكيد، والضلال لا شك يقودان إلى بعضهما، ومن هنا فإنهما يرتبطان بعلاقة السببية معاً، وذلك في علاقة "أصحاب الفيل" التي كأنها أصبحت بدائرة التضليل.

---

1. ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى، 1993م، ص 437.

2. ينظر: حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة عشر، د–ت، ص 1/ 510.

وفي موضع آخر يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8)﴾[1].

قد ابتدأت هذه الآيات الكريمة بقوله سبحانه "ألم" وهو استفهام بهمزة الاستفهام، والمعنى من هذا الاستفهام ينقسم إلى قسمين: الأول: التقرير، وهو تقرير الله سبحانه وتعالى هذه النعم على نبيه الكريم ﷺ وهي الإيواء والهداية والإغناء، والثاني: التذكير، أي أن هذا الاستفهام جاء ليذكر النبي الكريم ﷺ بهذه النعم الجزيلة، والمنن العظيمة التي أنعمها الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم[2].

أما الأفعال "فآوى، فهدى، فأغنى" فهي على تقدير محذوف، وهو ضمير المخاطب "الكاف" إذ إن التقدير فيها: فأواك، فهداك، فأغناك، غير أن هذه الكاف تحذفها العرب لدلالة السياق عليها[3].

وحين ندقق النظر في الآيات الكريمة السابقة نجد أنها مشتملة على تناظر تركيبي صرفي، هذا التناظر مرتبط ببنية أسلوب الاستفهام الماثل لنا في هذه الآيات القرآنية الكريمة، إذ إن أداة الاستفهام "ألم" التي بدأت بها الآية الأولى، بقي تأثيرها بوجود العطف إلى الآيات التي تليها، فكان ذلك سبيلاً للوصول إلى ترابط المعنى بين هذه الآيات.

ويمكننا تمثيل السلسلة الكلامية في الآيات السابقة بما يأتي :ألم يجدك يتيماً فآوى/... ووجدك ضالاً فهدى/ ... ووجدك عائلاً فأغنى.

إذ يظهر لنا من خلال المتتالية السابقة ماهية هذا التوافق المتوازي بين عناصر الجملة الاستفهامية ضمن السلسلة الكلامية، فإن أطراف هذه السلسلة تتكون من عنصر

1. سورة الضحى، الآية: 6-8.
2. أبو حيان الأندلسي، المرجع السابق، ص 4/ 1861.
3. العوتبي، أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم، الإبانة في اللغة العربية، تحقيق: عبد الكريم خليفة، وصلاح جرار، ومحمد حسن عواد، ونصرة عبد الرحمن، وجاسر أبو صفية، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط – عمان، الطبعة الأولى، 1999م، ص 1/ 151.

الاستفهام، يضاف إليه عنصر الفعل المشتمل على الخطاب للنبي الكريم ﷺ، يلي ذلك صفة اتصف بها النبي الكريم، ثم فاء الجواب، يليها فعل يدل على ما أنعمه الله سبحانه وتعالى على عبده الكريم فأماط عنه تلك الصفة.

ومن ناحية ثانية فثمة تناظر صرفي يدل على عناصر هذا التناظر ضمن السلسلة الكلامية، هذا التناظر الصرفي يتمثل فيما يأتي: يتيمًا... ضالاً... عائلاً، إن هذه الوحدات الكلامية الثلاثة تمثل صفات مشتقة يتصف بها الإنسان: اليتم، والضلال، والعيلة، وهي صفات ثلاث تقابل بعضها ضمن السلسلة الكلامية السابقة، وهو تناظر صرفي ضمن البنى المتوافقة.

ويمكننا أن نلحظ أيضاً: فآوى... فهدى... فأغنى، هذه الأفعال الثلاثة كلها أفعال ماضية، وكلها مسندة إلى ضمير الغائب "هو"، وكلها تبدأ بفاء الجزاء، وعلاوة على هذا كله فهي جميعا تنتهي بصوت الألف، وما ذاك إلا توافق صرفي بين هذه الأفعال المتقابلة ضمن السلسلة الكلامية الواحدة.

وفضلا على وجود هذا التناظر التركيبي الصرفي ضمن السلسلة الكلامية السابقة، فثمة تناظر دلالي بين هذه العناصر، فكل طرف من أطراف السلسلة الكلامية يشتمل على صفة ثقيلة على النفس الإنسانية: صفة اليتم، وصفة الضلال، وصفة العيلة، وهي متقابلة على ما أوضحنا، وكل طرف من أطراف هذه السلسلة الكلامية يشتمل على ما منّ به الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم، فلليتم كان الإيواء، وللضلال كان الهداية، وللعولة كان الإغناء، وهذا كله توافق دلالي قائم على أساس من البنى الصرفية والدلالية المتوافقة.

3. 2. التناظر في أسلوب الشرط:

الشرط أسلوب نحوي يقوم على أساس تماسك المعنى والسياق ضمن طرفيه، إذ يتشكل أسلوب الشرط من الشرط والجواب، وتبدأ جملة الشرط بأداة الشرط – الاسمية أو

الحرفية – ثم يأتي بعدها جملة الجواب، وعادة ما تقترن جملة الجواب بحرف الفاء؛ لأنها تقع في موضع الجواب، فالشرط عبارة عن جملة مكونة من جملتين[1].

ومن بين مظاهر التناظر في أسلوب الشرط في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصْلَى سَعِيرًا (12)** ﴾[2].

والجدول الآتي سيوضح مظاهر التناظر في الآيات سالفة الذكر:

الشرط	جواب الشرط ومعطوفه	
فأما من أوتي كتابه بيمينه	فسوف يحاسب حسابا يسيرا	وينقلب إلى أهله مسرورا
وأما من أوتي كتابه وراء ظهره	فسوف يدعو ثبورا	ويصلى سعيرا

لقد اتكأ التناظر التركيبي في الآيات السابقة على أسلوب الشرط، فإن أداة الشرط "أما" هي التي ظهرت في أول جملة الشرط ضمن طرفي المتوالية الكلامية الثنائية السابقة، و"أما" واحدة من أدوات الشرط؛ لذا التزم الفاء في جوابها، وتأتي "أما" لتدل على تفصيل أمور في نفس المتلقي، وقد يفصل المتكلم بعض هذه الأمور ويترك بعضها الآخر[3].

توافقت البنى في الشرط ولكن تغايرت في آخر أطرافه؛ وذلك بين الجار والمجرور (بيمينه) والمنصوب بترع الخافض (وراء ظهره)؛ أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، وفي جواب الشرط تجد التغاير بين الفعل المضارع المبني للمجهول (يحاسب) والمبني للمعلوم

1. ينظر: ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف: المباحث المرضية المتعلقة بمن الشرطية، تحقيق: مازن المبارك، دار ابن كثير، دمشق – سوريا، وبيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1987م، ص 54.

2. سورة الانشقاق، الآية: 07-12.

3. أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه، الكناش في فني النحو والصرف، تحقيق: رياض حسن الخوام، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م، ص 121.

(يدعو)، وكذلك بين المفعول المطلق (حساباً) والمفعول به (ثبورا)، وتشابهت في الأفعال المضارعة المعطوفة على جواب الشرط (ينقلب – يصلى)[1]، فغلب على هذه المتوالية أن تكون على بنى متغايرة.

تتمثل دلالة الآيات في ثنائية الحديث عن أهل اليمين وأهل الشمال ممن سيُعطَوْن كتبهم يوم القيامة، فأما من أوتي كتابه بيمينه من الناس، فهو من أهل الصلاح، ومن أهل الجنة، وسيكون حسابه يسيرًا، وتكون عاقبته السرور والفرح، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره، فسوف يدعو لنفسه بالويل والثبور، وسيصلى سعيرا[2]. فكان التضاد واضحًا في تناظر الشرط وجوابه بين أهل اليمين وأهل الشمال.

فالتضاد بين (بيمينه) و(وراء ظهره) هو تقابل معنوي وتخالف، بحيث قابل الشيء بخلافه، فضد اليمين هو الشمال، ولكن هنا قابل اليمين بـــــ (وراء ظهره)، فهذا قد يظهر في علاقة هذا التناظر التركيبي الأفقي بين هذه المواقع المتوازنة في أسلوب الشرط والذي يوحي بأن هناك مقارنة بين صنفين من الناس يوم القيامة. فالناس يوم القيامة منهم من يستلم كتابه بيمينه، وسيحاسب حسابًا يسيرا، أما الصنف الآخر لا يمكن أن يستلم كتابه في اليمين؛ لأنه لو كان الشرط الأول محدداً لطريقة الاستلام في اليمين لكان الاحتمال في (وراء ظهره) أن يستلم الكتاب بيمينه بطريقه مختلفة، فاكتفى سبحانه وتعالى بقول: (بيمينه) في الصنف الأول لينفي عن غيرهم استلام الكتاب باليمين؛ لأنه لا يتبقى لغيرهم إلا الاستلام بالشمال، فكان التضاد المعنوي والتخالف ملحوظ في التناظر بين أسلوب الشرط وجوابه بهذه المقارنة الضدية بينهم.

3. 3. التناظر في أسلوب الاستثناء:

1. ينظر: مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار اليمامة، دمشق – بيروت، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص –سورية، الطبعة الثالثة، 1992م، ص 10/ 423.

2. ينظر: البيضاوي، أبو سعيد عبد االله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418ه، ص 297/5.

يعد الاستثناء واحداً من الأساليب النحوية العربية المتميزة في دلالتها وعناصرها، إذ إن لعنصر الاستثناء في الكلام دلالته الخاصة به؛ لأن مفهوم الاستثناء يشير إلى إخراج الشيء من الشيء؛ إذ لولا الإخراج لوجب دخوله فيه، وهذا يتناول المتصل حقيقة وحكما، ويتناول المنفصل حكما فقط[1].

ومن نماذج التناظر في أسلوب الاستثناء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (27) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30)**﴾[2].

وضمن هذه الآيات الكريمة يمكننا أن نلحظ أن "إلا" مستمرة المعنى والدلالة عطفاً على الآية الأولى حتى استمرت في سائر الآيات الكريمة التالية، وذلك يظهر لنا من خلال المتتالية الآتية: إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون/ إلا المصلين الذين في أموالهم حق معلوم/ إلا المصلين الذين يصدقون بيوم الدين/ إلا المصلين الذين هم من عذاب ربهم مشفقون/ إلا المصلين الذين هم لفروجهم حافظون/.

يتضح لنا من خلال الجمل السابقة أن دالة الاستثناء "إلا" مشتركة في المعنى بين أطراف السلسلة الكلامية الخمسة، فإن دالة العطف هي التي أشارت إلى هذا المعنى الممتد عبر أطراف هذه المتوالية. ويمكننا أن نبين تركيب كل طرف من أطراف هذه السلسلة على النحو الآتي: إلا المصلين + الذين + جملة، فهذا النمط التركيبي المتكرر في أطراف السلسلة الكلامية يقودنا إلى القول بوجود هذا التناظر التركيبي ضمن أسلوب الاستثناء.

ومما يزيد هذا التناظر قوة وتأثيراً ما نلاحظه في البنية الصرفية لأطراف هذه المتوالية، إذ إن كثيراً من وحداتها الكلامية تندرج تحت جمع المذكر السالم، مثل: المصلين، دائمون،

1. الجرجاني، المرجع السابق، ص: 23.
2. سورة المعارج، آية: 22 – 30.

مشفقون، حافظون، فهذه الوحدات الكلامية المتناسقة في دلالتها على الجمع، تؤدي إلى تناظر صرفي ضمن هذه الآيات القرآنية الكريمة.

ومن جانب آخر فإن أطراف المتوالية الكلامية السابقة مشتملة على مجموعة من المشتقات الوصفية، مثل: المصلين، دائمون، معلوم، للسائل، المحروم، مشفقون، مأمون، حافظون، ملومين، فهذه الوحدات الكلامية جميعها دالة على صفة في هؤلاء المصلين الذين استثنتهم الآية القرآنية الكريمة الأولى.

3. 4. التناظر في أسلوب الحصر والقصر:

يمثل أسلوب الحصر والقصر في العربية مزجاً بين عناصر التركيب، وعناصر الدلالة، خاصة إذا أخذنا في اعتبارنا وجود مجموعة من الأدوات تشير إليه، إذ يشير الجرجاني إلى مفهوم القصر ذاكراً الحصر، قائلاً: «في اللغة الحبس، يقال، قصرت اللقحة على فرس، إذا جعلت لبنها له لا لغيره، وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء وحصره فيه، ويسمى الأمر الأول: مقصورا، والثاني: مقصورا عليه، كقولنا في القصر بين المبتدأ والخبر: إنما زيد قائم وبين الفعل والفاعل، نحو: ما ضربت إلا زيدا»[1].

وكان التناظر في هذا الأسلوب فيما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّـــهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّـــهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (7)**﴾[2].

اشتملت الآية القرآنية الكريمة على ظاهرة لغوية تتمثل في اشتقاق اسم الفاعل من العدد، كقوله: رابعهم، سادسهم، والمعنى أن المتناجين ثلاثة والله رابعهم، أو هم خمسة والله

1. الجرجاني، المرجع السابق، ص 175.
2. سورة المجادلة، آية: 07.

سادسهم، ولكن لو قيل: هذا ثالث ثلاثة، أو ثاني اثنين، فالمعنى مختلف، فثاني اثنين: أي إنه أحد الاثنين، فهذا الوجه يختلف عما ورد في الآية الكريمة[1].

هذه الآية الكريمة كما نرى تشتمل على تناظر تركيبي صرفي ضمن أسلوب الحصر والقصر، ويظهر لنا ذلك من خلال التمثيل في المتتالية الآتية: ما يكون ثلاثة إلا هو رابعهم //ولا خمسة إلا هو سادسهم، يظهر لنا من خلال المتتالية السابقة كيف توزعت الوحدات الكلامية ضمن طرفي السلسلة الكلامية، إذ تشكلت من العناصر الآتية: ما/ لا + عدد + إلا + هو + اسم فاعل دال على العدد، وهذا التركيب النحوي المتشاكل في الآية القرآنية الكريمة يقود إلى التناظر التركيبي.

أما من الناحية الصرفية، فنجد أن العناصر المتقابلة متشاكلة صرفيًا، كما يأتي: ثلاثة... خمسة، فكلتا الوحدتين الكلاميتين تدل على العدد، وكذلك الحال في الوحدتين الكلاميتين: رابعهم ... سادسهم، فكلتا الوحدتين أيضاً تدل على العدد، وكلتاهما تدل على صيغة اسم الفاعل، وذلك من خلال صيغتها الشكلية.

3. 5. التناظر في أسلوب الأمر:

وهو أحد الأساليب النحوية في اللغة العربية، ويشير إلى استدعاء حدوث الفعل ممن هو دونه، نحو قولنا للشخص: افعل كذا، فهذا استدعاء حدوث الفعل، وهو حقيقي في القول، مجازي في الفعل[2].

وقيل في معنى الأمر أنه الطلب الجزم، والاقتضاء الحتم، كما قيل إنه طلب اتحاد المأخوذ[1].

---

1. ينظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار عالم الكتب، بيروت ــ لبنان، (د.ت)، ص 2/ 181.

2. السنيكي، أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1411هـ، ص 84.

ومن نماذج التناظر في أسلوب النحو ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّـــهِ قَانِتِينَ (238)**﴾[2].

حينما ننظر في الآية القرآنية الكريمة نلمس فيها تناظرا تركيبياً ضمن أسلوب الأمر، وذلك كما يتضح ضمن المتتالية الآتية: حافظوا على الصلوات// قوموا – لام الجر – الله.

فنلاحظ أن كل طرف من أطراف السلسلة الكلامية يتكون من: فعل أمر + واو الجماعة + حرف جر + اسم مجرور.

إذ يظهر لنا التناظر التركيبي في هذه الآية الكريمة من خلال وجود فعل الأمر بصيغته الأساسية ضمن هذه الآية الكريمة، فهذا التشاكل بين فعلي الأمر يقود إلى تناظرهما، وكذلك الحال في إسنادهما إلى واو الجماعة، ووجود حرف الجر بعد الفعل، فكان أسلوب الأمر موافقًا لما عليه معنى الآية القرآنية الكريمة، وهو طبيعة التكليف الإلهي لعباده بالصلاة والقيام.

3. 6. التناظر في النهي والنفي:

يشير مفهوم النهي إلى ما يشير إليه مفهوم الأمر، غير أنه يختلف عن الأمر بأن المتكلم يطلب من المخاطب ترك فعل، وليس فعل شيء، وذلك نحو قوله: لا تفعل[3]، فهو إذن دعاء للإحجام عن الفعل[4] وللنهي دالة في العربية، ألا وهي دالة "لا" الناهية.

أما النفي فهو نفي حدوث الفعل، أي إنه إخبار عن الفعل، وليس على سبيل الطلب[5]. ويمكن الوصول إلى معنى النفي في العربية من خلال مجموعة من الدوال التركيبية،

---

1. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 2004م، ص 66.
2. سورة البقرة، آية: 238.
3. الجرجاني، المرجع السابق، ص 208.
4. السيوطي، المرجع السابق، ص 66.
5. الجرجاني، المرجع السابق، ص 245.

تتمثل بـــ "لم، ولما" الجازمتين اللتين تدخلان على الفعل المضارع، و"لن" الناصبة التي تدخل أيضاً على المضارع فتنفي المستقبل منه، ولا ولات، وما، وإن، فمنها المشبهة بـــ "ليس" فتعمل عملها، وتأخذ معناها، ومنها ما كان غير عامل، مثل "ما" الداخلة على الماضي، كقولنا: ما جاء أحد، و"لا" الداخلة على المضارع، ويعمل بعضها فيما بعده، وبعضها الآخر لا يعمل[1].

وما جاء من تناظر في أسلوب النفي كان في قوله سبحانه: **﴿ما أَشهَدتُهُم خَلقَ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَلا خَلقَ أَنفُسِهِم وَما كُنتُ مُتَّخِذَ المُضِلّينَ عَضُدًا (51)﴾**[2].

ومن خلال نظرتنا في الآية السابقة نجد أنها تشتمل على مظهر من مظاهر التناظر التركيبي الذي يمكن لنا أن نبينه ضمن المتتالية الآتية: ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض // وما كنت متخذ المضلين؛ إذ تبين المتتالية السابقة عناصر التركيب ضمن أسلوب النفي في الآية الكريمة، ويتمثل التركيب في: عنصر النفي "ما" + الفعل، فهذا التركيب المتشابه بين طرفي السلسلة الكلامية هو الذي دفع بالسلسلة نحو التناظر التركيبي.

ومن جانب آخر فثمة تناظر صرفي صوتي في الآية الكريمة، إذ أن كلمة "خلق" قد تكررت في طرفي السلسلة الكلامية، لأن الصيغة قد تكررت، واللفظ تكرر بأكمله.

أما ما جاء في التناظر في أسلوب النهي فكان في قوله تعالى: **﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10)﴾**[3].

يرتبط هذا النموذج بالموضوع السابق (التناظر التركيبي في أسلوب الشرط وجوابه)، لاشتماله على الأسلوبين، وجاء الكلام مستأنفًا بعد "أما" في المتوالية، والمعنى: فأما اليتيم فلا تقهره، فحذف الضمير من الفعل.

---

1. ينظر: الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة والعشرون، 1993م، ص 3/ 02.
2. سورة الكهف، آية: 51.
3. سورة الضحى، آية: 09 – 10.

فهذه المتوالية الثنائية متساوية الأطراف نحوياً، وصرفيًا، وصوتيًا؛ إذ يتكون كل طرف على النحو الآتي: أما (شرط وتفصيل) + مفعول به مقدم + فاء (رابطة) + "لا" الناهية + فعل مضارع مجزوم .فبذلك هو تناظر تركيبي، وقائم على البنى المتشابهة لا المتغايرة؛ لتوافق بنيات الكلام في أطراف المتوالية بجميع مستوياته. وكذلك أظهرت المتوالية توازيا صوتيًا في آخر أطراف المتوالية في (تقهر، تنهر) بين الهاء والراء، والتي تُمثّل اتفاق الفاصلة القرآنية.

4. خاتمة:

تظهر لنا ملامح التناظر التركيبي الصرفي وما يدعمه من عناصر التشكيل الصوتي، وملامح المعجم والدلالة ضمن مكونات الأساليب النحوية المختلفة، سواء الاستفهام، أم القصر والحصر، أم الشرط، أم غيرها من الأساليب التي تناولتها الدراسة.

كان لهذا التناظر أثره في تشكيل عناصر الموسيقى الداخلية للآيات القرآنية الكريمة، إذ إن تشابه البنى والمكونات الكلامية يقود إلى تناسق الموسيقى الداخلية ضمن السلسلة الكلامية.

إنّ التناظر التركيبي يشتمل في محتواه على جميع أنواع التناظر، دون أن يقتصر على التراكيب فقط، فيدخل فيه التناظر الصرفي، ومحل عمله الألفاظ، ثم التناظر الصوتي ومحل عمله الأصوات، أما التناظر التركيبي فهو يمثل رأس الهرم لأقسام التناظر جميعها؛ إذ يتخذ منها ويعتمدها عامة لتكتمل بناه والغاية المرجوة منه.

على أن الدراسة في موضوع التناظر في الأساليب النحوية لا يمكن حصره في هاته الأوراق البحثية، ويبقى موضوعا يستحق أن يعتنى به، ويغوص الباحثون في أغواره لصبر أعماقه، والوصول لجمالياته، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالحديث عن كتاب لا يأتيه الباطل من أمامه أو من خلفه.

5. قائمة المصار والمراجع:

القرآن الكريم.

- **كتب:**

1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

2) ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، المباحث المرضية المتعلقة بمن الشرطية، تحقيق: مازن المبارك، دار ابن كثير، دمشق – سوريا، وبيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1987م.

3) أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه، الكناش في فني النحو والصرف، تحقيق: رياض حسن الخوام، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م.

4) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م.

5) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م.

6) البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ.

7) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، حققه وضبطه: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م.

8) حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة عشر، د–ت.

9) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى، 1993م.

10) السنيكي، أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1411هـ.

11) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 2004م.

12) عبد الجواد، إبراهيم عبد الله أحمد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان ـــ الأردن، 1996م.

13) العوتبي، أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم، الإبانة في اللغة العربية، تحقيق: عبد الكريم خليفة، وصلاح جرار، ومحمد حسن عواد، ونصرة عبد الرحمن، وجاسر أبو صفية، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط – عمان، الطبعة الأولى، 1999م.

14) الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة والعشرون، 1993م.

15) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت ـــ لبنان، (د-ت).

16) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار عالم الكتب، بيروت ـــ لبنان، (د.ت).

17) مصطفى درويش، عراب القرآن وبيانه، دار اليمامة، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص –سورية، الطبعة الثالثة، 1992م.

- **المقالات:**

18) حامد إبراهيم امهيدي، التناظر والدليل في سياق التأويل، الرسم أنموذجا، مجلة نابو للبحوث والدراسات، جامعة بابل، كلية الفنون الجميلة، العدد 05، ديسمبر 2010م.